القرآن الكريم

❖ **تعريف القرآن الكريم.**

التعريف اللغوي: القرآن – باعتباره لفظاً مهموزاً – مصدر مرادف للقراءة، يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآناً، فهو قارِئٌ من قَرَأَةٍ وقُرّاءٍ وقارِئِينَ، بمعنى: تلا ونطق بألفاظه عن نظر أو عن حفظ، ومنه قوله تعالى: {إنّ علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه}[سورة القيامة: الآية 18-19]، أي قراءته، ومنه: قرأت الكتاب واقترأته، وأقرأته غيري، وهو من قَرَأَة الكتاب..

فالقرآن من القراءة، وهي أشرف أوصافه، ولا يشترك معه بها غيره، فهي وصفٌ ذاتي فيه.

وعلى هذا القول جمهور أهل العلم من الذين يرون أنّه مهموز من قرأ بمعنى تلا، ومنهم من يعتبره مشتقًّا من (القرء) بمعنى الجمع، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه؛ وسمّي بذلك لأنّه جمع السور بعضها إلى بعض، وعزا الراغب الأصفهاني لبعض أهل العلم قولهم في سبب تسمية هذا الكتاب قُرْآناً من بين كتب الله لكونه جامعًا لثمرة كتبه، ثمّ عقّب بقوله: "بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: {وتفصيل كلّ شيء}[سورة يوسف: الآية 111]، وقوله: {تبيانا لكلّ شيء}[سورة النحل: الآية 89]..

وإضافة إلى معنى التلاوة والجمع، فإنّ مادّة ((قرأ)) – بتصريفاتها المختلفة – تفيد معاني عدّة منها: التنسّك، والحيض والطهر وغيرهما..

أمّا من يرى أنّ القرآن غير مهموز، فإنّه لا يرجع اشتقاق القرآن إلى القراءة، بل إلى غيرها من الاشتقاقات كما في الرأيين التاليين:

قال الفرّاء: القران بغير همز مأخوذ من القرائن؛ لأنّ الآيات منه يصدّق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، فهي حينئذ قرائن..

ونُسِب إلى الإمام الأشعري ومن تابعه على رأيه، أنّ القرآن في رأيهم مشتقّ من "**قرن الشيء بالشيء**" إذا ضمّه إليه، لأنّ السور والآيات تقرن فيه ويضمّ بعضها إلى بعض، ومنه قيل للجمع بين الحجّ والعمرة قران..

وقد عقّب الزجّاج على أقوال من يقولون بأنّ القرآن غير مهموز بقوله: "هذا القول سهو، والصحيح أنّ ترك الهمز فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهذا ما أشار إليه الفارسي في الحلبيات: وقوله: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} أي جمعه في قلبك حفظاً، وعلى لسانك تلاوة، وفي سمعك فهماً وعلماً"..

على أنّ القول بعدم الهمز في هذين الرأيين كافٍ للحكم ببُعدهما عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة.

هذا، وقد اشتهر عن **الإمام الشافعي** قوله في القرآن إنّه ليس مشتقّاً ولا مهموزًا، بل ارتُجِل ووضِع علَماً على الكلام المنزّل على النبيّ ﷺ. قال السيوطي: "والمختار عندي في هذه المسألة ما نصّ عليه الشافعي".

غير أنّ ما نُسِب إلى الإمام الشافعي لا يوجد في كتبه، وإنّما أورد ذلك الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) قوله س: "وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت كان كلّ ما قرئ قرآناً، ولكنّه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل"، وفي إيراد الشافعيّ لهذه المقولة منسوبة إلى شيخه إسماعيل بن قسطنطين وسكوته عن مضمونها ما يدلّ على تبنّي هذا المضمون والرضى به..

التعريف الاصطلاحي: ورد في سورة الشعراء ما يشبه أن يكون تعريفًا للقرآن الكريم بما يمكن أن نكتفي به عن التعريفات المحكومة بقوانين المنطق الأرسطي التي لا يخلو واحد منها من اعتراض، فقد قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ}[الآيات 192-196]..

ورغم الوضوح الذي يتّسم به النصّ القرآني، نجد العلماء وضعوا له تعريفات عديدة اختلفت فيما بينها في الكثير والقليل اختلافاً يعكس الخلفيات المعرفيّة والمذهبيّة التي تشكّل قناعات صاحب كلّ تعريف، وكذا مجموع القيود المضمّنة في تعريفه..

لكنّ المقام يقتضيني عدم سرد التعريفات المختلفة لأصحابها بحكم أنّ الأمر يتطلّب الاكتفاء بأبسط هذه التعريفات والابتعاد عن الخلافات التي أوردتها كتب الأقدمين..

فنقول بعد هذا: **القرآن الكريم كلام الله المنزّل على سيّدنا محمّد ﷺ باللفظ العربي، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواترًا، المتعبّد بتلاوته، المعجِز بأقصر سورة منه**..

قال ابن عاشور: "فالقرآن اسم للكلام الموحى به إلى النبيّ ﷺ، وهو جملة المكتوب في المصاحف المشتمل على مائة وأربع عشرة سورة، أولاها الفاتحة وأخراها سورة الناس. صار هذا الاسم عَلماً على هذا الوحي. وهو على وزن فُعلان وهي زنة وردت في أسماء المصادر مثل غفران، وشكران وبهتان، ووردت زيادة النون في أسماء أعلام مثل عثمان وحسّان وعدنان، واسم (قرآن) صالح للاعتبارين؛ لأنّه مشتقّ من القراءة؛ لأنّ أوّل ما بدئ به الرسول من الوحي: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}[العلق:1]. وقال تعالى: {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً}[الإسراء: 106]، فهمزة قرآن أصليّة، ووزنه فعلان، ولذلك اتّفق أكثر القرّاء على قراءة لفظ (قرآن) مهموزاً حيثما وقع في التنزيل، ولم يخالفهم إلاّ ابن كثير قرأه بفتح الراء بعدها ألف على لغة تخفيف المهموز وهي لغة حجازية"..

❖ خواصّ القرآن.

أوّلاً: هو كلام الله المنزّل على رسوله محمّد ﷺ. قال تعالى: {وإن أَحَدٌ من المشركين اسْتَجَارَك فأَجِرْهُ حتّى يسْمَعَ كلامَ اللَّهِ}[سورة التوبة: الآية 6]، وعلى هذا، فالكتب السماوية كالتوراة والإنجيل ليست قرآناً لأنّها لم تنزل على النبيّ

ﷺ، ولم تكن باللسان العربي، لقوله تعالى: {ومآ أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبيّن لهم}[سورة إبراهيم: الآية 4].

ثانياً: القرآن هو مجموع اللفظ والمعنى، وإنّ لفظه نزل باللسان العربي، قال تعالى: {إنّا جعلناه قرآناً عربيًّا}[سورة الزخرف: الآية 3]، فليس في القرآن لفظ غير عربي، قال الإمام الشافعي رحمه الله: "ومن جماع علمِ كتابِ الله العلمُ بأنّ جميع كتاب الله إنّما نزل بلسان العرب"، وقال أيضًا: "والقرآن يدلّ على أن ليس من كتاب الله شئ إلاّ بلسان العرب"..

وعلى هذا، لا تعتبر من القرآن الأحاديث التي نُقلت عن النبيّ ﷺ سواء أكانت أحاديث نبوية أم قدسية، أمّا الأحاديث النبوية فلأنّ ألفاظها ليست من الله، وإن كان معناها موحى به من الله، بل عبّر عنها النبيّ ﷺ بألفاظ من عنده، وأمّا الأحاديث القدسية – وهي التي يرويها الرسول ﷺ عن ربّ العزّة سواء التي رواها عن جبريل أو التي لم يروها عنه – فإنّها – حتى على القول بأنّها نزلت بلفظها ومعناها – خارجة عن مسمّى القرآن، لأنّها لم تنزل على أنّها منه، ولم تنزل للتعبّد بتلاوتها، فلم تكتب في المصاحف، ولم تنقل إلينا بالتواتر، بل نقلت بطريق الآحاد، وتخضع في قبولها أو ردّها لقواعد الرواية كالأحاديث النبوية تماماً..

وكذلك لا يعتبر من القرآن ترجمته إلى غير العربية، ولا تفسيره ولو كان باللغة العربية.

ثالثاً: أنّه نُقِل إلينا بالتواتر، أي أنّ القرآن – على مرّ الأزمنة والدهور – توفّرت دواعي نقله، فلم يخلُ زمن ممّن كتبوه في الصحف أو حملوه في صدورهم ممّن لا يتوهّم اجتماعهم وتواطؤهم على الكذب من لدن النبيّ ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. بل لا يوجد كتاب يحفظه أهله بالملايين غير القرآن الكريم.. وهكذا فصفة التواتر فيه ميزة فارقة بينه وبين أيّ كتاب آخر يُدعى سماوياً أو أرضياً.. وعلى هذا، فما نُقِل من القراءات عن غير طريق التواتر لا يعتبر من القرآن، وذلك من نحو قراءة أبيّ بن كعب ﷺ: (فعدّة من أيّام أخرَ متتابعات)..

رابعاً: أنّه محفوظ من الزيادة والنقصان، لقوله تعالى: {إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون}[سورة الحجر: الآية 9]، فلا نقص فيه ولا زيادة، ولن يستطيع مخلوق أن يزيد شيئاً أو أن ينقص منه شيئاً، لأنّ الله تعالى تولّى حفظه، وما تولّى الله حفظه فلن تصل إليه يد العابثين المفسدين..

وهذه ميزة اختصّ بها القرآن الكريم من دون سائر الكتب السماوية السابقة، فقد تضافر على تحقيق هذه الخاصّية الكتابة والمشافهة، فلم ينتقل النبيّ ﷺ إلى ربّه إلاّ والقرآن محفوظ في صدور الجمع من أصحابه الذين شهد لهم ربّهم بالعدالة والاستقامة، كما كان مكتوباً كلّه على العُسُب واللخاف والجريد والجلود..

وكان للنبيّ ﷺ كُتّاب يُعرَفون بكتّاب الوحي، فلم تكن تنزل الآية والآيات إلاّ ويأمرهم ﷺ بكتابتها في موضعها من السورة.. وكان من نتيجة ذلك أن عصم الله هذه الأمّة من أن تختلف على كتاب ربّها كما اختلفت الأمم الأخرى على كتبها..

خامساً: أنّه معجِز، ومعنى ذلك عجز البشر أجمعون عن الإتيان بمثله، وقد ثبت إعجازه بتحدّي القرآن للعرب من أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور أو بسورة واحدة فعجزوا عن ذلك..

وعلى توالي العصور، وتنوّع وجوه الإعجاز، وإلى يومنا هذا، ومع ضعف المسلمين على صُعُد الحضارة الإنسانية المختلفة، لم يحصل أن نال القرآنَ الكريمَ شيء من التحدّي ولا أحسّ أهله – على ضعفهم – بحرج أمام منجزات العلم المبهرة..